جورج بهجوري.. رسم على رسم – القبس الإلكتروني

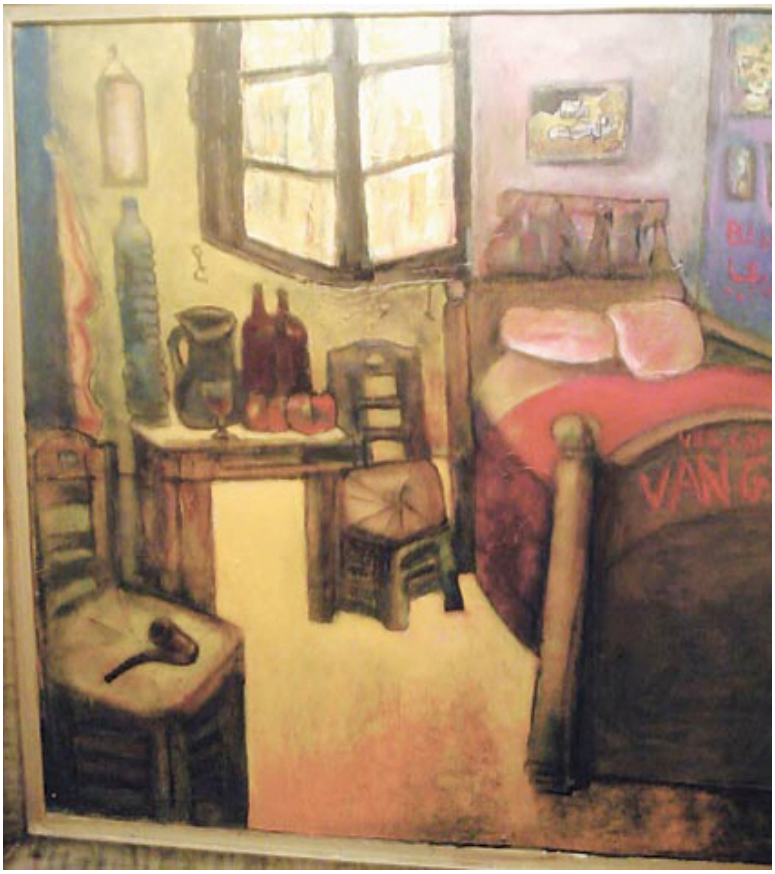

غير مصنف

جورج بهجوري.. رسم على رسم

يرى أنه يتميز عن بيكاسو !

القاهرة – شادي صلاح الدين

عندما تلتقي جورج البهجوري للمرة الأولى يدهشك وهو يتفرس ملامحك وأنت تتحدث إليه، أو تتحدث الى شخص ثالث في المكان..

ثم تكتشف في لحظات أن بهجوري كان يرسمك وأنه يهديك هذا الرسم.

كل من يلقى جورج يحب طريقته في التعارف بالرسم، وعندما تتصل به هاتفيا يأتيك صوته من خلال جهاز الأنسرماشين 'أنت عايزني أرسمك'، وكأنه يحذرك من أن تلتقي به وتقع في غوايته.

قد تعجبك خطوطه، وقد تزعجك أحيانا، لكنه يؤكد دائما أنه يرسم رؤيته الخاصة للشخص من الداخل، إنه يقرأ ما بداخلك أولا، ثم يبرز بالمرأة في خطوط حتى لو لم ترق صاحب الرسم.

ويذكر بهجوري أن هذه الطريقة هي التي أزعجت الفنان الراحل فريد الأطرش حينما طلبت صاحبة مجلة روزاليوسف من بهجوري في البدايات أن يرسم صورة للفنان فريد، فأخذ يراقب قلم بهجوري ويبدو أن خطوطه الكاريكاتيرية لم ترق له فغادر المكان، وألغى عقد إعلان جاء لنشره في المجلة.

مبالغات بهجوري وسخريته كانت وراء وضعه في قائمة الرئيس السابق أنور السادات السوداء بعد أن قام برسمه

بأسلوب تهكمي وتم منعه خلال تلك الفترة من دخول مصر.
حول رحلته ومفرداته الفنية وعالمه الضاحك والفن الغربي ومعرضه الأخير 'رسم على رسم' كان هذا الحوار:
كنت أود أن نبدأ بالجذور الأولى للتشكيل.. كيف كانت؟
– أنا تربيت في أسرة متمسكة بالكنيسة، وأنا طفل لفتت نظري أيقونة العذراء والطفل، وظلت هذه الأيقونة في مخيلتي كأنها حقيقة وليست صورة، وظلت الهالة الذهبية حول العذراء والطفل كأنها نور الله، ومن هنا عندما كبرت قليلا قالوا إنها مرسومة، وعرفت فن الرسم..
في تلك الأثناء فقدت أمي، وتخيلت أنني الطفل وأن هذه الواقفة في الأيقونة هي أمي، هذه الروحانية انعكست علي، وظلت معي حتى الآن وأنا عندي 70 سنة تلازمني وأنا أمارس كل الفنون.. الكتابة.. النحت.. الرسم.
وكأني طوال السنوات السبعين أبحث عن أمي، وأجدها في كل أم.. في الشارع.. في الحارة.. الصورة تتكرر، وقد كتب عني أحد النقاد التشكيليين أنني أرسم أيقونة الشوارع.. أيقونة الرصيف.. كل أم تحمل طفلا أتخيل أن وراءها هالة ذهبية، وكلما تزيد مأساتها وبؤسها يزيد نور الذهب حولها، كأنه نور الأفق أو نور الشمس أو القمر.
أصبحت أتابع هذه الأيقونة، وانعكست علي في الكتابة، وصارت متعددة الجوانب: أيقونة الطفولة، أيقونة الشباب، أيقونة الهجرة، أيقونة باريس، أيقونة الجسد التي لا أزال أكتبها، وهناك كتاب جديد اسمه أيقونة شعب، فالشعب كله مليء بالإنسانية.. هذه نشأتي، وهذا مصيري.
طبعا تابعت لوحات المتاحف، وعصر النهضة، ووجدت انعكاسات لكل هذا، كأنها ارهاصات، تأملات، من الطفولة للشباب، حتى الآن، وتجربتي الأخيرة اعتمدت على لوحات الكبار في أوروبا التي أعدت رسمها كأنني أعيد النور إليها مرة أخرى (النور الخلفي الذي سبق أن تحدثت عنه) وهو ما يشكل السلويت، الخط الفاصل بين الجسم والفراغ، وهو أسلوبي حتى في الرسم، حتى في الرسوم الهزلية، خط واحد يضم الشخص بالموضوع بالخلفية.
أنت ابن منطقة صعيدية (من صعيد مصر) تحفل بالتراث الفرعوني.. هل كان لهذا أثر في التشكيل لديك؟
– أنا ولدت بالأقصر فعلا، وأبي من بهجورة (قرية من ضواحي الأقصر)، وأجد أشياء كثيرة عندما أزور تلك الأماكن انها تشبهني، أجد نفسي أكثر، الناس هناك (حتى من لم أكن أعرفهم) جزء مني، قرص الشمس الممثل ل 'رع' في متحف الأقصر والكرنك يتعدد عندي في لوحات كثيرة، العينان اللتان تمثلان نافذتي الروح موجودتان في أعمالي، الأصابع الطويلة، رسم البروفيل الخط الجانبي الذي اختاره المصري القديم ورسمه، في كل تمثال وكل نحت بارز يظهر الخط الجانبي كأجمل خط في فن البورتريه وفي الجسم، حتى في الحركة عندما تكون هناك معركة، أو جماهير يقولون برسم خط واحد يتم تكراره، ويصبح الخط الواحد آلاف الخطوط بكل سهولة، يعكس عصر النهضة المليء بالتعقيدات، والمعني بالتركيب، ووضع الحصان على الحصان، والازدحام الى حد الاعجاز، لكن التبسيط والتلقائية الموجودة عند المصري القديم موجودة إلى اليوم في أعمالي، لا أبحث عن التعقيد، لكن أنتمي للفن البدائي الفطري، حتى أن الفن الافريقي ينعكس على بعض لوحاتي، وتمنيت أن أزور افريقيا ولكن رحلتي توقفت عند جنوب السودان.
ولحسن حظي فأنا أقيم في ضاحية فرنسية بباريس معظم سكانها سنغاليون، وصرت أرسم ملامحهم وهم يذهبون يوميا إلى أعمالهم، ولدي خمس كراسات لوجوه سنغالية، وكأنما كنت أتمنى تحقيق شيء فوجدته أمامي، وهكذا..
كنت أتخيل أنني عاشق للفن الغربي، واكتشف فجأة أنه ليس اتجاهي، وأن الفن الغربي معجزة في الرسم أذهلتني، وتخيلت أن النجاح والمجد سوف يأتي من الغرب، لكني وجدت نفسي أرجع الى افريقيا.
وتحققت هذه الفكرة أكثر عندما كنت من المغضوب عليهم فترة السادات بعد أن قمت برسمه بأسلوب تهكمي فوضعني في القائمة السوداء التي لا تدخل مصر مع عدد من المثقفين، وأتيحت لي فرصة المشاركة في مهرجان أصيلة بالمغرب، وأحببت الشعب المغربي جدا، ورسمته باستمتاع، وألهمني، ولدي كراسات كثيرة ضخمة عن حياة المغاربة في السوق والمقهى وسباق الحصان، كل هذا أكد لي أنني كنت مخطئا في اتجاهي للغرب مع احترامي لمعجزته في الرسم والنحت، فما استفدت منه أكثر هو المكان الذي أتيت منه.
شاهدت في المتحف المصري طلبة الفنون يحملون كراسات ويجلسون على الأرض يرسمون مشاهداتهم من لوحات

وتماثيل.. هل مارست هذه الطريقة؟
– ما تتحدث عنه يسمونه في فرنسا السكولير، ولا أعتقد أن هؤلاء الطلاب سيستفيدون شيئا وهو اتجاه خاطىء، والأفضل هو ما اقترحته منذ زمن وهو أن الطالب يقوم بدراسة تمثال محدد بالقلم الرصاص أو الفحم، ولكي يتعلم الرسم يدرس التمثال، والتمثال عادة من عصر النهضة وغالبا ما يكون التمثال معقدا، مثل فينوس إلهة الجمال، أو أبولون، وأهم تمثال رسمناه في الكلية هو لسقراط، واقترحت وأنا طالب أن يأتوا لنا برمسيس ونرسمه بالفحم أو اخناتون، اخناتون بالتحديد مشكلة، ثري بالتعابير والمعاني، واقترح الفنان عادل السيوي أن يكون اخناتون هو الدرس التشكيلي الذي يتعلمه طلاب الفنون الجميلة واندهشت لذكائه..
لماذا لا يأتون لنا بتماثيل لحتشبسوت وكليوباترا، لماذا نرسم أبولون؟ هذا سيجعلنا نفهم ما فعله أجدادنا، بدلا من أن نرسل الطلبة الى المتحف المصري.
إلى الآن لم يتم تنفيذ فكرة أن يكون هناك نماذج من تمثال رمسيس يدرسها طلبة الفنون.
في معرضك الأخير 'رسم على رسم' رسمت لفان جوخ وآخرين لوحات قاموا برسمها..
– رسمت لفان جوخ لأنه قال كلمة جميلة هي 'كل وجه يخرج منه فن'، وكان مليئا بأوجاع، حياته كانت مليئة بالنوازع الدينية فجعل الدين يتجه للفن، وبدأ يدرس بروح أخيه القسيس نفسها واعتبرت نفسي أخذت شخصيته، واعتبرت غرفته التي رسمها غرفتي، وفهمت أشخاصه الذين عاشوا معه ورسمهم، مثلما رسمت القهوجي وماسح الأحذية وأبي وإخوتي، وهذا هو الفنان الصادق الذي يبدأ ممن حوله، عندما تجد فنانا يشطح ويرسم بأسلوب التجريد ويترك كل الناس الذين عاش معهم، أنا أعتبره غير ذات قيمة كبيرة، لا بد أن يخرج من القيم الانسانية المحيطة به، ومن التشخيص لهم ورسمهم، وهذا هو اتجاه فان غوخ، الأمر نفسه عند موديلياني مع نسائه، جوجان مع نسائه في تاهيتي اخذت هؤلاء وعدت للرسام الهولندي رامبرانت لأنه قمة الرسم في الغرب.
ما الفرق الذي أردت أن تؤكد عليه في لوحتك واللوحة المنقول عنها لفان جوخ؟
– أنا لا يمكن أن اصل الى براعة فان جوخ، انما لما وجدت أنه كان عمره 35 عاما ورسم غرفته وأنا عندي 70 سنة ولا أعرف كيف أرسمها، أحسست أنني في خيبة، وكان علي أن أعمل شيئا آخر من حياتي.. فان جوخ بالذات رسم البوسطجي الذي يحضر له الخطابات بسترة حمراء ويحمل الخطابات وذقنه حمراء، أحببت بوسطجي فان جوخ، أن ترسم من تحب.. أستطيع أن أتقمصه، لم أستطع فعل هذا مع روبنز، روبنز خطير لم أستطع أن أقترب منه، فهو غربي بحت، ليس في رسومه فحسب، حتى الخط غير موجود، أنا أبحث عن الخط.. الخط هو بناء اللوحة، وهو ما أجده عند فان جوخ وجوجان، عندما تذهب لمصور آخر تجد أن الفرشاة هي التي ترسم ولا تجد خطا.. تجد النور والظل.. جزء من اللوحة المرسومة فيه نور ساطع وجزء فيه زرقة ودكنة، ويظهر الشكل كله هكذا.. أنا أبحث أيضا عن الرسام.. وقفت عند بيكاسو.. الذي غير كل شيء واعتبر الخط كل شيء.. وقفت عند بولكلي لأن الخط عنده كل شيء، وركبت قطارا وذهبت إليه في برن، وعشت يومين هناك، منزله متحف جميل.. أكملت دراساتي وقلت ان هؤلاء كان لا بد أن يزوروا مصر.. الخط عند بولكلي شرقي، اللون أيضا، أصبح عنده تيمة ثلاثة مثلثات تمثل الهرم.. بيكاسو لم يأت الى مصر رغم تحريض أصدقائه له لزيارتها.
الشاعر ابولينيز وبريفير وماكسيم جاكوب وكوكتو، كانوا يحرضونه قائلين، كن مصريا، على أساس أنه يرسم العين سمكة والخط بروفيل والوجه بروفيل، ويرسم اليد بأصابع واضحة مثلما فعل المصري القديم.
لكنه اكتفى بالجناح المصري في متحف اللوفر وتأثر به، وهذا عظيم، لكنه لم يزر مصر وهذا ما فاته، وأنا لدي ميزة أكثر من بيكاسو أنني مزروع هنا في مصر، يمكن أن العب مع جدي بالوراثة، لكن عبقريته هو من دون حدود.
كيف دخلت الى الكتابة؟
– أعتقد أنني بالغت في الرسم، 500 كراسة حاولت أن أتفوق على نفسي، أن اضغط وأمسك بشيء آخر غير الريشة، لو كنت أعرف أن ألعب كمنجة.. لكنني حاولت وأنا صغير من دون جدوى، واشتريت عودا وأخي الأكبر ضربني عليه فقمت باعادة العود ودفعت النقود لأخي، ووجدت أن يدي لا تلف على الكمنجة لأن أصابعي قصيرة..

لو كنت أعرف أمثل لمثلث، لكنه يعتمد على مخرج وممثلين ومصورين، لكنني أحب الفن الانعزالي كالرسم والموسيقى، لأنني أصير ملك نفسي، أختار الوقت وأمسك بالآلة وأجلس وحيدا – الكتابة أيضا فن يعتمد على أن تكون وحيدا.. انعزالية تامة تتفق مع طابعي.. أغلق على نفسي وليس معي سوى قلم وورقة..

أحدهم قال لي: لا تستخدم الكلمة الكليشيه، وانس كل ما قرأت، تماما مثلما يقال للشاعر الذي يود أن يكون شاعرا: احفظ ألف بيت ثم انسها. صديقي قال لي: لا تحاول أن تكتب شيئا كنت قرأته، وفعلا ألغيت قراءتي، ولم أكن قارئا نهما، كانت قراءاتي قليلة، وأنا صغير انبهرت بمحمود تيمور وقصته 'سلوى في مهب الريح'، ثم توفيق الحكيم 'عصفور من الشرق' و'عودة الروح'، ونجيب محفوظ في 'زقاق المدق' وكنت اقرأها خطأ.. وخدعت أصدقائي الأدباء وكذبت عليهم وكتبت أنني أمي لا أعرف القراءة ولا الكتابة، غير أنني كنت أوحي لأصدقائي الذين صاروا أعلام الأدب مثل صلاح عبدالصبور وحجازي والنقاش أنني أقرأ أعمالهم، وقررت أن أكون جاهلا، ليس عندي سوى خلفية الحس الرفيع الذي تربى عن طريق الرسم، لأنني أخاف أن أستعير لغة أحد وأسلوب آخر فأكتب مثله، وأقع في الكليشيه، كنت أقرأ طبعا، لكنني كنت أريد أن أكون فطريا.

وبدأت المسألة معي بفكرة البوح، وهي مسألة ألحت علي في أوروبا، فأنت تحتاج إلى إنسان مصري تتحدث معه، ولابد أن يكون من بلدي 'بهجورة'، وهذا لن تجده، ولابد أن تخاطب الورق مثلما كنت في الرسم أكلم اللوحة، ربما هذه مجرد احتمالات.